LUND UNIVERSITY

Almahfali, Mohammed

Published in:
Arabia Felix Center for Studies

2021

Link to publication

Citation for published version (APA):
Almahfali, M. (2021). أثر حسن البنا في خطاب حسين الحوثي. *Arabia Felix Center for Studies*.

Total number of authors:
1

General rights
Unless other specific re-use rights are stated the following general rights apply:
Copyright and moral rights for the publications made accessible in the public portal are retained by the authors and/or other copyright owners and it is a condition of accessing publications that users recognise and abide by the legal requirements associated with these rights.
• Users may download and print one copy of any publication from the public portal for the purpose of private study or research.
• You may not further distribute the material or use it for any profit-making activity or commercial gain
• You may freely distribute the URL identifying the publication in the public portal

Read more about Creative commons licenses: https://creativecommons.org/licenses/

Take down policy
If you believe that this document breaches copyright please contact us providing details, and we will remove access to the work immediately and investigate your claim.

LUND UNIVERSITY

PO Box 117
221 00 Lund
+46 46-222 00 00

أثر حسن البنَّا في خطاب حسين الحوثي

20 فبراير، 2021by محمد المحفلي0

تقدم هذه الورقة صورة عن التأثر في ملازم حسين بدر الدين الحوثي مؤسس حركة الحوثيين في اليمن، بالأفكار والرؤى الواردة في رسائل حسن البنا مؤسس ومنظر حركة الإخوان المسلمين.

د. محمد المحفلي

مقدمة

تنتمي جماعة الحوثيين في إطارها العام إلى الجماعات الشيعية التي ظهرت مؤخراً وتطرح نفسها بديلاً لجماعات الإسلام السياسي السنية[1]، وتقوم هويتها على أيديولوجيا مختلفة، سوف يتخذ هذا الأمر بعداً أكثر وضوحا في اليمن منذ صعود الحوثيين ما بعد 2011م حين بدأوا رحلة توسعهم العسكري من معركةٍ خاضوها ضد السلفيين في دماج بصعدة في أكتوبر 2013[2]، ولن يلبثوا قليلاً حتى يتقدموا نحو صنعاء وهم يصورون للناس حربهم على أنها تستهدف بدرجة رئيسية القضاء على جماعة الإخوان المسلمين أكبر الأحزاب السياسية في اليمن[3]، وتنظيم القاعدة الذي يتخذ عددا من مناطق اليمن معقلاً له منذ الثمانينات، ولن ينسوا أن يوظفوا داعش في خطابهم التي أعلن عدد من التشكيلات التابعة للقاعدة ولاءها لتنظيم الدولة بعد ظهوره في العراق وسوريا، حتى أن هذه الحرب تبدو كما لو كانت حرباً طائفية سنية- شيعية بين "التكفيريين" كما يطلق الحوثيون على المختلف معهم من السنة، و"الروافض" كما يسمي بعض أتباع السنة الحوثيين.

ويسمي الحوثيون المختلفين معهم من الجماعات السنية: "التكفيريين" في محاولة منهم لتقديم أنفسهم جماعة أكثر تحضراً من هذه الجماعات الموصوفة بالتكفير، والواقع أن كلاً من الحوثيين من جهة، والقاعدة والإصلاح من جهة أخرى، تشترك في كونها تنتمي إلى ما يسمى بجماعات "الإسلام السياسي" التي تهدف إلى تأسيس الدولة الإسلامية أو تسعى إلى دولة ذات أساس إسلامي، على اختلاف التصورات حول هذه الدولة وطبيعتها ما بين الولاية والخلافة، وكذلك في الآليات التي تعتمدها مختلف هذه الفرق في تجسيد رؤيتها والتي تجعل منها تفترق فقط في الدرجة لا في النوع كما يسمي ذلك نصر حامد أبو زيد.

ومعنى هذا أن الفرق الإسلامية لا تختلف كثيراً عن بعضها خصوصاً في الأصول، أو المبادئ الأساسية، مهما بدت كذلك، لكن المفارقة تكمن في أن التشابه بين جماعة الحوثيين أو قربها من حركات الإسلام السياسي السنية، وخصوصاً الإخوان والقاعدة، تتجاوز المشتركات الأساسية التي تجمعها بتلك الجماعات انطلاقاً من كون كل منهما جماعة دينية، إلى تقارب في الخطاب وتشكلاته وتمثلاته حتى يبدو أنه ناتج عن تأثر واضح لدى زعيم الجماعة المؤسس (حسين بدر الدين الحوثي)، بزعيم جماعة الإخوان المسلمين أو مؤسسها (حسن البنا).

سوف تحاول هذه الورقة استجلاء ذلك التأثر من خلال ملازم حسين بدر الدين الحوثي مؤسس حركة الحوثيين في اليمن، بفكر ورؤى حسن البنَّا مؤسس ومنظر حركة الإخوان المسلمين، كما تجلى في الكتاب المسمى بـ: رسائل حسن البنا، وستعمل على توضيح الدور الجوهري لتلك الأفكار، عبر مدخل منهجي يؤطر سير تحليل النتائج ومناقشتها، ومن ثم الدخول إلى تحليل النصوص ومقارنتها واستقراء البنية الفكرية للخطاب ومدى الاختلاف أو التطابق، من أجل الوصول إلى خلاصة منهجية تحدد طبيعة هذا التأثر ومداه.

تأطير نظري:

غالبا ما يوصف الصراع في اليمن بأنه حرب بالوكالة بوصفه امتدادا لصراع طائفي يتجاوز الجغرافية اليمنية، والتركيبة الديموغرافية أيضا[4]، وبحسب آخر التقديرات فقد خلفت هذه الحرب مائة ألف قتيل[5]، وأربعة ملايين نازح، وأربعة وعشرين مليونا بحاجة للمساعدة[6]. ومع ذلك لايمكن إنكار الأبعاد السياسية والاقتصادية والتداخلات الإقليمية والدولية في هذا الصراع، وفي الوقت نفسه فإن الانقسام الطائفي واضح وجلي ويعمل على تغذية هذا الصراع بالأدبيات الإعلامية التي تشتغل من أجل إعطاء الحرب مسوغاتها الأخلاقية لكلا الطرفين بحيث يبدو للمطلع أن هناك انقساما جذريا، في حين أن التحليل العميق لهذه الأدبيات يثبت اتصالا جوهريا للمبادئ والمنطلقات الفكرية لكل من الحوثيين والإخوان المسلمين، وهما الفاعلان الأساسيان للتغذية الفكرية في هذه الحرب.

وبناء على هذه المفارقة سوف تنطلق هذه القراءة ابتداء من فرضية أن كلا خطابي حسن البنَّاء وحسين الحوثي هو خطاب ديني في الأساس، مع الاعتراف بوجود تطوير وتطويع للكثير من المفاهيم السياسية ضمن خطاب ديني قائم على مرتكزات تستند في حججها على قواعد الدين ومنطلقاته الأساسية. وبالطبع هذا لايعني نقد التقارب أو الأسلوب الذي كتبت به تلك النصوص، إذ يبدو للقارئ ذلك الفارق الكبير بين الأسلوبين من حيث الطريقة ومن حيث اللغة ومضامينها، إذ تبدو رسائل حسن البنا أكثر قدرة على الالتزام باللغة العربية وترابط الأفكار والاستشاهد والتسلسل، أما ملازم الحوثي فيغلب عليها الطابع الارتجالي من حيث عدم التسلسل وكثرة الألفاظ العامية وعدم الترتيب، وغيرها من العيوب التي غالبا ما تصاحب الدروس الارتجاليه المباشرة.

في كتابه نقد الخطاب الديني، ينطلق نصر حامد أبو زيد في مقاربة الخطابات الدينية بوصفها خطابا واحدا، نافيا أن يكون هناك خطاب متطرف وآخر معتدل، إذ إن "الفارق بين هذين النمطين من الخطاب فارق في الدرجة لا في النوع، والدليل على ذلك أن الباحث لا يجد تغايرا أو اختلافا، من حيث المنطلقات الفكرية أو الآليات بينهما. ويتجلى التطابق في اعتماد نمطي الخطاب على عناصر أساسية ثابتة في بنية الخطاب الديني بشكل عام، عناصر أساسية غير قابلة للنقاش أو الحوار أو المساومة"[7]، فالعمل على تحليل بنية الخطاب الديني يكشف هذه البنية الموحدة، وهوالأمر الذي يجعلنا ندرك تفاصيل عملها ومن ثم مآلاتها في المستقبل.

وكما يؤكد زيد، فإن الجانبين يعتمدان على عناصر أساسية غير قابلة للنقاش، وأهم هذه العناصر: النص والحاكمية، كما أنهما يتطابقان من حيث الآليات التي يعتمد عليها كلاهما في طرح المفاهيم. ويجعل الباحث هذه الآليات في التوحيد بين الفكر والدين، وإلغاء المسافة بين الذات والموضوع، وتفسير الظواهر كلها بردها إلى مبدأ أول هو الحاكمية الإلهية بوصفها نقيضا لحاكمية البشر والاعتماد على سلطة السلف أو التراث وتحويل النصوص التراثية الثانوية إلى نصوص أولية لها من القداسة ما للنصوص الأصلية، والحسم الفكري والقطعي، وإهدار البعد التاريخي[8]، ولعلنا من خلال التركيز على فكرين يبدوان في تجليهما الحالي على هيئة متناقضة أو متصارعة، يمكننا أن نصل إلى نتيجة تبين أن كليهما يستخدمان استراتيجية موحدة وإن اختلف الهدف النهائي، وسيكون هذا من خلال استكشاف أسس المرجعية التي تبدو موحدة عند الطرفين.

ومن خلفية سنية البنَّا وشيعية الحوثي، يمكن القول إن الجامع الأساسي لكليهما هو إنهما منتجان في إطار ما يسمى بالإسلام السياسي، السني والشيعي، الذي تندمج فيه المنطلقات الفكرية التي تسعى في الأخير إلى ترسيخ مفاهيم محددة تحدد طبيعة السلطة وعلاقتها بالناس[9].

تعد الملازم التي تركها حسين بدر الدين الحوثي – مؤسس الحركة الحوثية في اليمن- واحدة من أهم أعمدة خطاب الحركة، على الرغم من الانتقادت التي توجه للملازم بأنها ممتلئة بالمغالطات والأخطاء الفكرية والمعرفية واللغوية[10]، وبأنها تبدو على نحو ما أشبه بتفسير «شعبي» للقرآن الكريم، لا يمكن أن تدخل ضمن المنجز التفسيري كحقل معرفي له مكانته في التراكم المعرفي العربي، ولا تعطي أي أهمية لبنية اللغة وتشكلها، ومستوياتها التركيبية أو الدلالية، ولا حتى لسياقها التاريخي الاجتماعي، مع وضع إسقاطات على الواقع السياسي من خلال خلفية لتصور أيديولوجي مسبق[11] مع ذلك تشكل أهمية كبرى على المستوى الداخلي للحركة من حيث العمل على تجنيد أتباعها وتوجيههم، وإعطاء الأسس الأيديولوجية لمنتسبيها.

والملازم هي عبارة عن استخلاص كتابي لعدد من الدروس الشفهية الارتجالية واللقاءات التي كان يجريها مؤسس الحركة الحوثية حسين بدر الحوثي، بين الأعوام 1998 و 2004، حيث تم تفريغها من أشرطة الكاسيت إلى الأوراق واتخذت اسمها الحالي الملازم، وهي خليط من الدروس الدينية وتفسير القرآن وكذلك تحتوي على الأسس الأولى التي تعكس طبيعة الحركة وتوجهها، كما أنها تحتوي على تصور عام لتوصيف الأحداث على المستوى المحلي والإقليمي والدولي وتقييمها، وهو الأمر الذي يسمح باستجلاء نقاط مركزية يمكنها أن تعكس توجهات الحركة ومن ثم معرفة جذور الخطاب وكيفية تشكيله وما هي المؤثرات التي ساعدت على وجوده.

وتعد رسائل حسن البنا -والذي يسمى بأدبيات الإخوان بالإمام الشهيد، ويوصف بالمجدد- أهم مفردات منهج الإخوان المسلمين وعمدة نظامهم الأساسي، وما تزال فعالة في نهج الحركة وفكرها. وهي أكثر من عشرين رسالة مجموعة في كتاب، تناولت مواضيع مختلفة في أوقات ومناسبات مختلفة، وتشتمل على آراء ومواقف دينية، وسياسية، واقتصادية، وتنظيمية وغيرها. كما إن إحداها تضمنت عشرين أصلاً احتفى الإخوان بها احتفاء خاصاً من حيث شرحها وتعليمها والالتزام بها[12]. ويمكن من خلال قراءة "الرسائل[13]" و"الملازم[14]"، إدراك ذلك التقارب المنهجي بين الخطابين بدءا من تحديد الهوية، إلى تحديد آليات وصولا إلى تصورات المستقبل.

تهدف الورقة إلى كشف تأثر حسين الحوثي بحسن البنا، من خلال تحليل المضمون للأدبيات المتاحة، التي يمكن من خلالها تقديم إجابات مبنية على دلائل متماسكة تكشف أشكال هذا التأثير ومقداره، بغض النظر عن السياقات الموضوعية الأخرى التي قد يكون لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة في ذلك مثل وجود حسين الحوثي في السودان أول هذا القرن، وهي الفترة التي كانت مزدهرة بحكم الإخوان المسلمين هناك آنذاك.

ولأنه من الصعب جدا محاولة الفصل بين آليات الخطاب ومنطلقاته الفكرية[15]، فسوف أنطلق في هذه القراءة من محاولة تحليل التشابه بين الخطابين م
أخرى، وهي تحديد وظيفة الخطاب، أي استكشاف الغاية التي يؤديها هذا الخطاب من خلال كشف السياق الذي يرد فيه.

تحديد الهوية:

تنطلق الاستراتيجية الأساسية للخطاب الديني السياسي من تحديد الهوية، أو بتعبير آخر، إن تحديد الهوية السياسية جزء أساسي من وظيفة الخطاب في ما يسمى بالإسلام السياسي، ويمكن القول: إن هذه الهوية تتخذ بشكل مبدئي الصورة نفسها في الأدبيات المدروسة، حيث تمثل الأمة المرجعية نفسها، سواء عند البنا أو حسين الحوثي، وكذلك ما يتعلق بتأطير مرجعية الأمة، وأهدافها، ثم التأكيد على رفض القوميات أو الهويات الوطنية الأخرى التي يمكن أن تؤثر بصورة من الصور في طبيعة هذه المرجعية الأساسية.

يقول حسن البنا: "والأمة الإسلامية واحدة، لأن الأخوة التي جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان، لايتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها" (الرسائل، 248). وعلى امتداد خطابه يضع الأمة شرطا أساسيا لتحديد الهوية، تلك الهوية التي ينطلق على أساسها في تعريف الذات ومن ثم تحديد الآخر أيضا، وهو الأمر نفسه، الذي نجده في ملازم الحوثي، على سبيل المثال في ملزمته التي تحدد بوضوح هذه الجزئية وبعنوان: من نحن ومن هم. يمثل «نحن» (المسلمون، العرب) وأما «هم» فـ(الكفار، اليهود)[16]، ويعكس العنوان هذه الرغبة في تحديد الهوية، وعلى امتداد الوثيقة يشير إلى مرجعية الأمة في مواجهة الآخر، قائلا: " نحن أمة لو ننهض, لو يخلصون لنا, لو يخلصون معنا فبين أيدينا كتاب عظيم, بين أيدينا دين عظيم قد نشكل خطورة على حضارتهم" (ملزمة: من نحن ومن هم).

ويتعين على الأمة في كلا الخطابين أن تحقق الغاية الكبرى، وهي سيادة العالم، فبسحب رسائل البنَّا فإنه يتعين على هذه الأمة وأبناؤها أن يكونوا "أوصياء على البشرية القاصرة، و يعطيهم حق الهيمنة و السيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة و إذا فذلك من شأننا لا من شأن الغرب"(الرسائل، 26). وبالمثل يقول حسين الحوثي: هذه الأمة كان المطلوب أن تكون هي من تَجُوب البحار طولاً وعرضاً فتقف في سواحل أوروبا وفي سواحل أمريكا (ملزمة: الإرهاب والإسلام). ولايمكن أن يخفي التشابه حد التطابق في مخاطبة الأمة بوصفها الطرف المستهدف بأفق لاتحكمه أطر جغرافية ولا إثنية ولا ثقافية محددة، بل تصل إلى كل مسلم في كل مكان من هذا العالم، فكل مسلم في كلا الخطابين هو المستهدف وهو المعني بتشكيل عناصر الأمة التي ينبغي أن تكون تحت قيادتهم.

وينطلق الخطابان بدءا من تشخيص حالة وضع الأمة الغارقة في الضعف والهوان، وعدم القدرة على الفعل، ومصادرة المبادرة، ويبدو أن الأسباب هي الأخرى قد تكون هي نفسها عدا عن بعض الاختلافات الي تعود بعضها إلى التاريخ بحسب حسين الحوثي فإن أحدا أسباب انحراف هذه الأمة عن مسارها يعود إلى تفريطها في ولاية علي بن أبي طالب، في حين يستغرق حسن البناء في نقاش الأسباب المادية الأخرى لاسيما الانحراف السلوكي والأخلاقي.

وانطلاقا من هذه الهوية الموحدة للأمة بحيث يكون مبدأ الأخوة مبني على قيم الانتماء للإسلام مع تكسير كل الأطر الأخرى، سواء كانت قومية أو وطنية، إذ يبدو واضحا موقف الطرفين الرافض للقومية أو حتى للوطنية، بوصف هذه القيم الجزئية الخطر الأكبر الذي يهدد الأمة في بعدها العالمي الواسع، وبتعبير حسن البنَّا: فـ" الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعاني ولا بأشباهها ولا يقولون فرعونية ولاعربية ولا فينيقية ولا سورية ولا شيئا من هذه الألقاب والأسماء التي يتنابز بها الناس"وكذلك يبين الفرق بينه وبين الخطاب المخالف له فيما يتعلق بمفهوم الوطنية قائلا: "أما وجه الاختلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية"(الرسائل، 16). في حين يسمي حسين الحوثي الحديث عن هذه القوميات بأنه شد الأوطان إلى تاريخها الجاهلي، بمعنى أنه عودة بالأمة إلى مرحلة ماقبل الإسلام، يقول: "في اليمن يشدون اليمنيين إلى التاريخ السبأي والحميري, ويجعلونهم يقدسون, ويعظمون بقايا أعمدة في مأرب من آثار دولة معين، أو آثار دولة سبأ في مأرب، وفي الجوف، أو في غيرها، وأن هذا هو تاريخنا وأنا كنا أصحاب حضارة، وكنا.. وكنا.. والتاريخ الإسلامي لا أثر له!. من أين يحصل هذا؟ شد العرب إلى تاريخهم الجاهلي؟"(ملزمة: الإرهاب والإسلام).

وهنا يتطابق الخطابان مرة أخرى في مسار وظيفته التي تحرص على تثبيت مفهوم الأمة مكان المواطنة، ورفض كل مكونات الهوية الأخرى من العرق والتاريخ والثقافة والأوطان الحديثة، والإبقاء على مسار يستهدف الوصول إلى أكبر شريحة من الناس في سبيل استعادة دولة إسلامية واحدة تمثل رؤية واحدة وهدف واحد.

تشخيص الأوضاع:

تمثل الوظيفة الثانية من وظائف الخطاب التي تكشف مختلف الجوانب الأخرى، تشخيص الأوضاع القائمة، ويكاد الخطابان يتطابقان في مرحلة التشخيص، في الطريق إلى وضع الحلول الممكنة.

ويضع الخطابان التفاصيل المبدئية لضعف الأمة، المتمثلة في حالة الهوان والذلة وما يصاحبه -بحسب البنَّا- من "وهن نفوسها و ضعف قلوبها و خلو أفئدتها من الخلق الفاضلة.... وإن الأمة إذا رتعت في النعيم و أنست بالترف و غرقت في أعراض المادة و افتتنت بزهرة الحياة الدنيا , و نسيت احتمال الشدائد و مقارعة الخطوب و المجاهدة في سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء"(الرسائل، 36)، وهو الخطاب ذاته عند حسين الحوثي الذي يرى أن: "الأمة – الآن – مستكينة، مستسلمة خاضعة، ذليلة، جاهلة، ممزقة؟ الأمة هذه التي هي مكونة من آلاف من مجاميع البشر من الناس المساكين الناسين لما يجب عليهم أن يعملوا، أليس

الواقع؟"(ملزمة: الهوية الإيمانية). ومن هذا المنطلق يضع الطرفان الحل المبدئي المتمثل بالنسبة للبنا في العودة إلى الإيمان والقرآن ومافيه من تعاليم (الرسائل،37-38)، وهو بالنسبة للحوثي بالعودة إلى الاعتصام بحبل الله ودينه، وكتابه (ملزمة: يوم القدس العالمي).

إذا فا لتشخيص واحد، والعلاج -بصورة عامة- يبدو واحدا عند الطرفين، إذا لايمكن أن ينكر أحدهما على الآخر طبيعة المشكلة الحقيقة التي تواجه العالم اليوم، العالم بما أن المشكلة ليست محصورة في وطن بعينة ولا في دولة بعينها وبأن الأمر لا يخص إنسان مخصوص على وجه التحديد طالما أن الأمة الإسلامية هي المعنية بهذا الأمر.

ويستطرد الخطابان بوضع بعض المحددات التي عملت على تراجع حال الأمة، بدءا من دور الغرب المركزي الذي يحمله الطرفان المسؤولية، إذ يقرر البنَّا بأن الغرب قد عمل جاهدا على أن : "تغمر الموجه هذه الحياة المادية ، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة ، جميع البلاد الإسلامية" (الرسائل، 84). وكذلك يرى الحوثي بأن الأمة قد غيرت نمط حياتها وثقافتها وشكلها لتبدو غربية، وهذا جزء من تراجعها (ملزمة: الثقافة القرآنية).

حتى قيم الحداثة والتحضر والمدنية، فهي كلها قيم مرفوضة تعمل على خلخلة الأمة الإسلامية وتقوض أسسها، إذ إن مفهوم الحضارة نفسه موضع شك بل ورفض من كلا الخطابين، إذ يقول الحوثي صراحة: "هذه هي الحضارة، هذا هو التقدم، هذا هو التطور، وهذا هو التمدّن! ولم نشعر بأنه الانحطاط، وأنه الذلة، وأنه الدناءة، وأنه الضلال والضياع" (ملزمة: لتحذن حذو بني إسرائيل)، وقد تبين أن البنَّا كان قد حدد هذا السبب، وبين أنه ينبغي العمل من أجل تجاوز هذا المأزق- من خلال العمل على الوقوف في " وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة، وحضارات المتع والشهوات، التي جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبي وهداية القرآن" (الرسائل، 153). فالحضارة بالنسبة لكلا الخطابين هي حضارة زائفة حضارة متع وإباحية بحسب تعبيرهما في مواضع مختلفة، لذلك فالأصوب اتخاذ طريق جديدة لا تتصل إلى قيم هذه الحضارة ولا إلى أبعادها الموضوعية.

ويمتد التأثر إلى مدى أبعد من ذلك المتمثل في تحميل السبب لا الحكام وحدهم المسؤولية، بل الشعوب أيضا، وكذلك مختلف المؤسسات الوطنية الأخرى، فعلى الرغم من أن هذا الأمر يحمل خطورة كبيرة تتمثل في جعل هذا مدخلا لتكفير الناس ومن ثم تحطيم أسس العيش المشترك، فعلى سبيل المثال يقول البنَّا في رسائله: "أما المسؤول عن ذلك فالحاكم والمحكوم على السواء: الحاكم الذي لانت قناته للغامزين، وسلس قياده للغاصبين، وعني بنفسه أكثر مما عني بقومه، والمحكوم الذي رضي بالذلة وعجز وغفل عن الواجب وخدع بالباطل وانقاد وراء الهوى وفقد قوة الإيمان وقوة الجماعة فأصبح نهب الناهبين وطعمة الطامعين." (الرسائل، 167-168). على المستوى نفسه نجد الحوثي يحمل الحاكم والمحكوم المسؤولية نفسها في تناغم تام مع تشخيص الحالة إذ يقول: "القضية أصبحت قضية الشعوب أنفسهم هم، لم يعد من الصحيح أن يجلسوا يشخروا في أن الحكومة حقتهم (يركنوا بأن حكومتهم)، أو أن جيشهم ممكن يدافع، أبداً.. الجيوش العربية، الحكام العرب أصبحوا مهزومين، أصبحوا مهيئين أن يشتغلوا للأمريكيين وليس فقط ضد الأمريكيين" (ملزمة: الشعار سلاح وموقف)، كما يبين في ملزمة أخرى أن سبب التسلط وضياع الحقوق هو أن الشعوب نفسها صامتة ولاتتكلم (ملزمة: لتحذن حذو بني إسرائيل).

إن كل هذا التطابق في توصيف الوضع وتحديد طبيعة التحديات وتحديد المسؤول عن ذلك سواء أكان الحاكم أم المحكوم يؤدي إلى نتيجة على درجة من التقارب، وربما التأكيد على مسألة تحميل الشعوب جزءا من المسؤولية ما يعتبر مدخلا أساسيا لتكفير تلك الشعوب ومن ثم اعتبارها جاهلية كافرة، وتستحق العقوبة أيضا، وهو الاتهام الذي وجه لسيد قطب على سبيل المثال فيما يتعلق بهذه النقطة تحديدا، إذ نرى هذا التعبير الصريح له في تقرير مصير ملايين الناس حين يقول: "ونحن لانحدد مدلول الدين ومفهوم الإسلام على هذا النحو من عند أنفسنا ففي مثل هذا الأمر الخطير الذي يترتب عليه تقرير مفهوم لدين الله، كما يترتب عليه الحكم بتوقف وجود الإسلام في الأرض اليوم، وأعادة النظر في دعوات مئات الملايين من الناس أنهم مسلمون"[17]. وهو ما جعل الكثير من الباحثين يرون أن كلامه هذا مقدمة تمهيدية لتفكير الشعوب ومن ثم جواز قتلهم بوصفهم رافضين أو متواطئين مع استبعاد الحاكمية لله.

رؤية المستقبل:

يشتمل ترتيب المستقبل على رؤية لوضع الأسس التي يراها كل طرف حلا للمشكلة، وينطلق كلا الخطابين من ترسيخ مفهوم الدولة الإسلامية بمرجعية القرآن، بالدرجة الأولى ثم المصادر الأخرى، ليكون مبدأ "إسلامية" هو الحاسم في كلا الخطابين، ومواجهة لأي خيارات أخرى، بوصف كل تلك الخيارات غير قابلة للنقاش طالما لم تعترف أو لم تضع هذه الأسس في الاعتبار، فنجد حسن البنَّا يقول إن من أسس الإصلاح "أن تقوم في هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعي وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة للناس"(الرسائل، 88)، ويقرر الحوثي في أكثر من موضع في ملازمه، أن الإسلام دين ودولة، وأنه نظام شامل للحياة كلها (ملزمة: أمر الولاية)، كما يؤكد في ملازم كاملة حاكمية الإسلام والقرآن، وأن لانظام ولا سلطة إلا للقرآن.

إن هذه الإحالة إلى المصدر لاتعني التمسك بقيم الدولة الثيوقراطية كما يبدو من خلال الخطابين فقط، ولكن أيضا حصانة مانعة من أي تفكير باتجاه الدولة ودولة المؤسسات والتشريعات والقوانين التي تنطلق من حاجة المجتمع وممثليها من المواطنين. فمثلما يتفق الخطابان في استبعاد مفاهيم الأوطان التي هي الدولة الحديثة، يتفقان أيضا في الرؤية للمستقبل التي تستبعد المفاهيم الحديثة للدول.

ويترتب على هذا الاستبعاد استبعاد في كل التفاصيل الأخرى، إذ ليس الأمر مجرد تحديد للمرجعيات الكبرى، فالإسلام كما يقول البنَّا هو "عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية، وخلق ومادة، وثقافة وقانون، وسماحة و قوة واعتقاد أنه نظام كامل يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة (الرسائل، 147)، فهو إذ شامل كامل كل شيء، وكل شي في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية ينبغي أن ينطلق من هذه النظرة الدينية، والأمر كذلك بالنسبة للحوثي الذي يرفض حتى كلمة دستور وقانون لأنها كما يقول "توحي للإنسان بمنهجية أخرى وبمصدر آخر لتنظيم شؤون الحياة غير الشريعة، حتى وإن كانت كما يقال بشكل تقنين لأحكام الشريعة" ليقرر "إذاً يجب أن نكفر بكل تشريع ليس من قبل الله، هذا هو ما يجب على الإنسان أن يؤمن بأن التشريع هو لله"(ملزمة: دروس من هدي القرآن الكريم).

ومن هذه المنطلقات الأساسية لحلول الدولة في المستقبل، يكاد يتفق الطرفان على رفض الكثير من قيم المجتمع الحديث، لا سيما ما يتعلق بالحزبية والصحافة والحريات العامة، والكثير من مظاهر التعددية واختلاف الآراء.

ويمكن القول إن طريقة التنظير حول هذا الحظر الفكري أو حتى في عملية تسويغه يكاد يكون هو نفسه، فبالنسبة للبنَّاء فإن "هذه الحزبية قد أفسدت على الناس كل مرافق حياتهم وعطلت مصالحهم، وأتلفت أخلقهم، ومزقت روابطهم"(الرسائل، 121) ، وهو لذلك يرفضها ويوصي بحلها وإنشاء حزب واحد يمثل الرؤية التي يراها، وتوجيه الأمة وجهة واحدة كما يقول(الرسائل، 256)، وعلى المنوال نفسه يقدم عددا من التوصيات التي هي بمثابة التعليمات الواضحة والمنطلقة من خلفية معرفية تجعلها بمثابة المحددات التي لاتقبل النقاش ولا التفاوض من قبيل: الفصل بين الطلاب والطالبات، ومراقبة الكتب والمطبوعات والرقص والغناء والكتب والروايات (الرسائل، 229).

إنه إذا الموقف ذاته الذي يجعل الحوثي أيضا ينكر مفهوم الحرية التي ينادى بها في الدول الحديثة، ومن ثم يرفض فكرة الأحزاب والحزبية، والاجتهادات والآراء، قائلا: "لا أعتقد أن هناك أغبى منا نحن العرب، نصدق، حرية، حرية، وكل واحد ذهب لوحده، اجتهاد، آراء، أقوال، أحزاب، كذا.. الخ، وفي الأخير يهجمون علينا، نرى أنفسنا في الأخير، ما الذي نحتاج إليه؟ ألسنا الآن نحتاج إلى الموقف الواحد، في مواجهتهم، أو نحتاج إلى مزيد من الأحزاب، ومزيد من الاجتهادات، ومزيد من الرأي، والرأي الآخر؟ ما الذي نحتاج إليه؟ أي إنسان منا مهما كانت ثقافته محدودة يفهم أن الذي يحتاج إليه العرب الآن، يحتاج إليه المسلمون اليوم هو ماذا؟ موقف واحد في مواجهة أولئك، شخص واحد يقود هذه الأمة في مواجهة أولئك، كما ظهروا علينا برجل واحد"(ملزمة: الإسلام وثقافة الاتباع)، وبالمثل أيضا يرفض الصحافة والندوات الثقافية والتلفزيون وغيرها من وسائل الإعلام الحديثة لأنها من وجهة نظره لا تعمل على إخراج مسلمين صالحين(ينظر ملزمة: من نحن ومن هم).

وليس غريبا أيضا أن يتفق الخطابان على مبدأ الجهاد، بوصفه الأداة الأساسية التي بموجبها يستطيع الفكر أن ينتشر ويحقق أهدفه على مستوى عالمي، فالجهاد بالنسبة للبنَّا هو "فرض معزز بالقرآن والسنة وهو ما يسميه القتال لتكون كلمة الله هي العليا (الرسائل، 327). ويقول الحوثي: "الجهاد شرعية لنا نتحرك على أساسه في ضرب أولئك المفسدين، الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، وهم في واقعهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله، وهم لا يدينون دين الحق، إن من واجب الأمة أن تحاربهم، أن تقاتلهم أي أن تجاهدهم – والجهاد شرعية لهم هنا – حتى يعطي أولئك الجزية عن يدٍ وهم صاغرون" (ملزمة الإرهاب والإسلام). فكلا الطرفان متفق على أن الجهاد فرض وشرعية للتحرك، ليس من أجل الدفاع ولكن من أجل الانتشار في كل مكان عبر هذا العالم لقتال كل من لايؤمن بفكرتهم واعتبار هذا الأمر جزءا أساسيا من عقيدتهم. وهذا الاشتراك ليس من قبيل اعتقاد حسن البنَّا فحسب، بل نجد هذا الأساس يتسرب إلى كثير من أدبيات حركات الإسلام السياسي بوصف هذا تأكيدا يجسد أفكار البنا في تابعيه من الإخوان المسلمين وهو ما يمكن قياسه على أتباع الحوثي أيضا. وقد ورد في رؤية الإخوان المسلمين في سوريا ما يلي: " والجهاد بمعنى القتال فهو ماض إلى يوم القيامة طالما أن هناك اعتداء على المسلمين باحتلال أرضهم أو ظلمهم أو فتنتهم عن دينهم أو الوقوف حائلا بينهم وبين تبليغ دعوتهم وهذا المفهوم الإسلامي يجب أن يأخذ طريقه إلى السلوك الدولي بشكل قوة دولية عادلة نصيرا مهمتها مساعدة الشعوب المستضعفة التي تتعرض حقوقها للانتهاك ، وأفرادها للإبادة الجماعية[18]. إذا فالأمر ليس دفاعا فحسب بل وأداة للوقوف أمام أي عائق لتوجيه الدعوة، بكل تأكيد وفق الرؤية التي يؤمنون بها.

ونرى البنَّا والحوثي يرفضان بشكل واضح أن يتم تأويل الجهاد بمعنى جهاد النفس، وإنما يصران على جهاد القتال، إذ يعبر البنَّا عن رفضه لهذا التأويل صراحة مناقشا الحديث المروي بالقول (رجعنا من الجهاد الأصغر إلي الجهاد الأكبر ، قالوا:وما الجهاد الأكبر؟ قال: جهاد القلب أو جهاد النفس) مبينا أن: "بعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ في سبيله (الرسائل،329). ويرى الحوثي بالمثل أن مفهوم جهاد النفس مرفوض إذ يعده التفافا على مفهوم الجهاد وهو الغزو في سبيل الله وتوسيع الدين في الآفاق (ينظر ملزمة: خطورة المرحلة).

إذا فالمستقبل لديهما ليس مجرد بناء الدولة، بل في توسيع الفكرة لتكون فكرة بشرية للعالم أجمع، فالأرض بمختلف الفسلفات والهويات ينبغي أن تستلم للرؤية التي يرونها، بحكم أن الدعوة "ربانية عالمية" (الرسائل، 178)، وهنا تصبح الغاية محاولة السيطرة على العالم كما يقول البنَّا صراحة: "هذه غايتنا أيها الناس .. منهاجنا فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج ؟ عدتنا هي عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذي غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد هو السلاح الذي سنحمله لنغزو به العالم من جديد" (الرسائل، 154)، وكذلك يستعمل الحوثي الفكرة نفسها مؤكدا أنه

ينبغي "أن تسبقوهم أنتم، أن نسبقهم نحن إلى البشرية؛ لنوصل هذا الدين، ونوصل هذا النور، ونوصل هذا الهدى إلى البشرية كلها"(ملزمة: خطورة المرحلة)، وهو الأمر الذي نلمسه في كل رموز وأدبيات الحركة بعد ذلك حيث تبين أن الدعوة عالمية وتتجاوز الإطار المحلي والإقليمي[19]. والحقيقة أن هذه النزعة التوسعية مسيطرة على طول الخطابين، فمنذ الانطلاق من فكرة عالمية الدعوة وإلغاء الحدود الفاصلة للقوميات والأوطان الجغرافية لابدو من الوصول إلى نتيجة يهدفون فيها إلى السيطرة على العالم وفق هذه الرؤية البانورامية.

الخاتمة:

على الرغم من اختلاف الأسلوب البلاغي فإن خطاب الحوثي يكادا يكون مطابقا لخطاب البنَّا من حيث الوظيفة، فاعتمادا على فرضية نصر حامد أبو زيد التي ترى أن الخطاب الديني في مجمله خطابا واحدا، أثبتت هذه القراءة اندماج هذين الخطابين بما يتجاوز الاعتبارات الفكرية والخلاف المذهبي وكذلك الاعتبارات التاريخية أيضا، ما بين حسن البنَّا الذي اغتيل في العام 1948 وبين حسين الحوثي الذي قتل أيضا في العالم 2004.

وقد أثبتت هذه القراءة بالأدلة الفاحصة والقائمة على استقراء نصوص الخطابين هذا التطابق والذي يمتد من تحديد الهوية إلى تشخيص الأوضاع ليصل أخيرا إلى وضع استراتيجية ورؤية للمستقبل، وقد تبين في كل هذه التفاصيل، ما يثبت أن كلا الخطابين يكادا يخرجان من بوتقة واحدة.

ويمكن في هذا المقام استقراء رمزية هذين الخطابين، أعني رسائل البنَّا وملازم الحوثي، في مستقبل كلا الجماعتين الذين يصنفان أهم أعمدة الإسلام السياسي بشقيه السني والشيعي، فقد ظلت الرسائل في قالبها بوصفها رسائل تشكل أهم مراجع الإخوان المسلمين، والملازم بوصفها أيضا أهم الأعمدة الفكرية للحركة الحوثية، وهذا تطابق آخر في الرمزية وفي الشكل وفي المضمون أيضا.

إن هذه الورقة لاتقول إن هناك تطابقا حرفيا بين المنهجين والرؤيتين، فهناك اختلاف جوهري، يتمثل في أن الإخوان المسلمين يسعون إلى دولة الخلافة الإسلامية التي يختارها أهل الحل والعقد، في حين أن الخطاب الحوثي يركز وبشكل مطلق على مبدأ الولاية لعلي ومن ثم لآل البيت من بعده بوصفهم هم فقط الأحق بالإمامة والسلطة، وبل وبالمحبة والولاية وفرض الاتباع. ولكن كل ماعدا هذين الرؤيتين يكاد يكون هو، وهو ما يؤكد قوة هذا المشترك بين الجماعتين، ويجعلنا بصورة من الصور نقيس مآلات أحدها على الأخرى.

الهوامش والإحالات:

[1] – Ramón Blecua, A revolution within the revolution: the Houthi movement and the new political dynamics in Yemen, 24/3/2015: https://rb.gy/cdj2rc.

[2] – أنور بن قاسم الخضري، الطائفية وفتيل الحرب الأهلية في اليمن، سياسات عربية، العدد6 يناير 2014.

[3] – Stacey Philbrick Yadav, Yemen's Muslim Brotherhood and the perils of powersharing, BROOKINGS INSTITUTION, August, 2015.

[4] – ينظر على سبيل المثال:

May Darwich, The Yemen war: a proxy sectarian war?, Foreign Policy Centre (FPC), November 12, 2018: https://fpc.org.uk/the-yemen-war-a-proxy-sectarian-war/

Frea Al-Muslimi, How Sunni-Shia Sectarianism Is Poisoning Yemen, Malcolm H. Kerr Carnegie Middle East Center, December 29, 2015: https://carnegie-mec.org/diwan/62375

[5] – ACLED, OVER 100,000 REPORTED KILLED IN YEMEN WAR, access: December 29, 2020: https://acleddata.com/2019/10/31/press-release-over-100000-reported-killed-in-yemen-war/

[6] – UNHCR, Access: December 29, 2020: https://reporting.unhcr.org/node/2647

[7] – نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، سيناء للنشر، القاهرة، ط/2، 1994، ص: 67

[8] – المرجع السابق، ص: 10.

[9] – ينظر: الإسلام السياسي الشيعي والسني.. تاريخ الأواصر وتشابه السرديات، العرب، 24/5/2017: https://cutt.ly/JkRRWWV

[10] – خلود الحلالي، ملازم الحوثي... منهج طائفي لتفخيخ المجتمع اليمني وتغيير هويته وعقيدته، أندبندنت عربية، 26/9/2019: https://cutt.ly/jkRRONn

[11] – أحمد الطرس العرامي، الحوثي ومشروعه القرآني، 24/3/2014: https://almasdaronline.com/article/55986

[12] – شقيق شقير، منهج حركة الإخوان المسلمين ورؤاها الفكرية، الجزيرة، 3/10/2004: https://cutt.ly/AkRRGJj

[13] – حسن البنا، رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، كتاب منشور على الإنترنت.

[14] – الملازم، موقع هدى القرآن: https://www.huda.live/malazem

[15] – نصر حامد أبو زيد، نقد الخطاب الديني، ص: 77.

[16] – أحمد الطرس العرامي، مرجع سابق.

[17] – سيد قطب، العدالة الاجتماعية، دار الشروق، القاهرة، ط/1، ص: 182- 183.

[18] – رؤية الإخوان المسلمين في سورية، (2004)، المشروع السياسي لسوريا المستقبل، منشور على الإنترنت: https://www.uni-marburg.de/de/cnms/politik/forschung/abgeschlossene-projekte/tp-alt/dokumentation-1/dokumente/syrienmb.pdf

[19] – Mohammed Almahfali & James Root, How Iran's Islamic Revolution Does, and Does Not, Influence Houthi Rule in Northern Yemen, Sana'a Center For Strategic Studies, 13/2/2020: https://sanaacenter.org/publications/analysis/9050

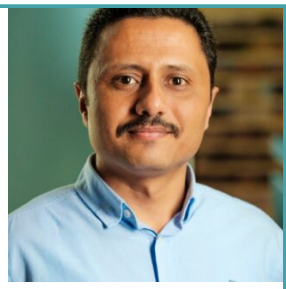

محمد المحفلي

د. محمد المحفلي نائب المدير التنفيذي لمركز العربية السعيدة للدراسات، وهو باحث زميل في مركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة لوند في السويد، تركز أبحاثه على تحليل الخطاب الأدبي والثقافي والسياسي والإعلامي في العالم العربي، مع التركيز على اليمن، حصل على الدكتوراه في الأدب العربي من جامعة القاهرة في العام 2014م.

Leave a Reply

* Your email address will not be published. Required fields are marked

*Comment

*Name

*Email

Website

احفظ اسمي، بريدي الإلكتروني، والموقع الإلكتروني في هذا المتصفح لاستخدامها المرة المقبلة في تعليقي.

Post Comment

previous

هل الوحدة الدينية/ المذهبية شرط للوحدة السياسية في اليمن؟

next

تأثير الحرب في العنف ضد النساء والفتيات في اليمن

الاشتراك في النشرة البريدية

Enter your email address

SUBSCRIBE NOW

جميع الحقوق محفوظة © لدى **مركز العربية السعيدة للدراسات** 2021